

## في ذكرى ولادة الإمام المهدي (عج)

### كيف نفهم الغيبة والانتظار؟

يستعيد قسم غير قليل من المسلمين (وهم أتباع أهل بيت الرسول (ص))، في الخامس عشر من شهر شعبان من كل عام، ذكرى ولادة الإمام المهدي المنتظر (عج).. بوصفه المصلح الديني العالمي الذي توافقت الأديان الكبرى في الإجمال، على ظهوره في آخر الزمان، ليقوم العدل والسلام بين الناس في الأرض، وإن اختلفت تلك الأديان أو المذاهب حول تحديد شخصه وهويته. ففي اليهودية نجد نصوصاً تتحدث عن خروج المسيح المخلص من نسل النبي داود (ع). والنصوص المسيحية تتحدث عن عودة المسيح بن مريم (ع) من جديد إلى هذا العالم. بينما النصوص الإسلامية تقر أيضاً بخروج نبي الله المسيح (ع) ولكن في زمن الإمام المهدي المنتظر (ع) ودعمًا وإسناداً له.

أما مَنْ هو الإمام المهدي المنتظر (عج) بالتحديد، فقد اتفقت المذاهب الإسلامية جميعاً على أنه من نسل الإمام علي (ع) وزوجه فاطمة الزهراء (ع) بنت رسول الله (ص).. ولكن حصل اختلاف في مسألة "كونه وُلد فعلاً، أو كونه سيولد لاحقاً في مستقبل الأيام". والأطروحة التي تجد لها السند القوي من الأدلة والنصوص الثابتة، هي تلك القائلة بأنه هو الإمام محمد بن الحسن العسكري (ع) الذي وُلد سنة ٢٥٥هـ.. وشاءت إرادة الله سبحانه أن يغيب وينقطع عن أداء دوره المباشر في رعاية الأمة منذ سنة ٣٢٩هـ (٩٥١م).

وقد أثرت، كما - يمكن أن نتار، أسئلة عديدة على ضوء هذه الأطروحة، مثل: هل يُمكن لإنسان أن يعيش كل هذه المدة الطويلة التي نافت على الألف عام؟ وما الحكمة أو الحكم المفهومة من غيبة الإمام المهدي (ع)؟ وكيف يكون الانتظار لظهوره (ع)؟

ويمكن القول باختصار في مواجهة هذه التساؤلات:

إن العمر الطويل وإن كان نادر الوقوع حسب المعتاد، خصوصاً في أزماننا المتأخرة، إلا أنه يبقى أمراً ممكناً. فقد أفادت التجارب العلمية الحديثة بأن الخلايا والأنسجة البشرية تمتلك قابلية الحياة المستمرة ما لم تتعرض لعوامل الإتلاف. وهكذا، لو أمكن إزالة هذه العوامل أو منع تأثيرها، فإن عمر الإنسان يطول ويمتد.

كما أنّ النصوص الدينية تتحدث عن أنبياء وأولياء معمرين.. فقد ذكر القرآن الكريم أنّ مدة دعوة نبي الله نوح (ع) وحدها بلغت تسعمائة وخمسين عاماً، وذلك دون حساب فترة حياته قبل

الدعوة، أو مدة حياته بعد الطوفان. ودلت العديد من الروايات كذلك، على طول عمر الخضر (ع) [الذي تناول القرآن قصته مع النبي موسى (ع)] وعلى بقائه حياً. وليس في ذلك أدنى غرابة، من الوجهة الاعتقادية، إذا ما لاحظنا قدرة الخالق عز وجل المطلقة، وكون أعمار الخلائق بيده سبحانه، فهو تعالى إذا أراد أن يطيل عمر أي إنسان فلا راد لمشيئته، حيث أنه يهيئ في هذه الحالة، الأسباب والظروف المادية لإطالة عمره.

وبالنسبة إلى الغيبة الطويلة للإمام (ع) حتى اليوم، والتي شاء الله حصولها، كما يبدو، لأسباب موضوعية تتصل بضخامة المشروع التغيير الذي سيضطلع به الإمام (ع)، فهي وإن حُرمت المؤمنين من التنعم ببركات قيادته المباشرة، إلا أنها لا ترحمهم قطعاً من البركات المترتبة على وجوده الشريف.. وهي (أي الغيبة) كما نفهم، تعني، من جهة، امتحان المؤمنين والتحصيص والغربة لهم، فضلاً عن إبقاء جذوة الأمل بالخلاص من واقعهم المرّ، قوية متقدة في نفوسهم. وتعني، من جهة ثانية، حفظ الحياة المقدسة للإمام (ع) من تهديد الطغاة، وتحرره الكامل من كل بيعة للظالمين.. ثم استكمال توقّر العدد المطلوب من أنصاره وأشياعه.

وقد تناولت العديد من الروايات غيبة الإمام المهدي (ع)، ومنها ما نقله الحافظ القندوزي الحنفي في كتابه "ينابيع المودة"، مروياً عن ابن عباس، عن رسول الله (ص):  
"إن علياً إمام أمتي من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر (أي الإمام المهدي) الذي إذا ظهر يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن الثابتين على القول بإمامته في زمن غيبته لأعز من الكبريت الأحمر"  
فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري، فقال: يا رسول الله، لوليك القائم غيبة؟ قال (ص):  
"أي وربي (محض الله الذين آمنوا، ومحقق الكافرين).. يا جابر، إن هذا الأمر من أمر الله، وسر من سرّ الله، مطوي من عباد الله، فإياك والشك فيه، فإن الشك في أمر الله عز وجل كفر".

وأما الانتظار، من قبل المؤمنين، لظهور الإمام (ع) فهو لا يعني أبداً التكاثر والتخاذل عن أداء الواجب، بل يعني تحمّل المسؤولية، وخصوصاً مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بوعي وحكمة، والسعي الدؤوب لتمهيد الطريق وإزالة العقبات.  
وبكلمة أخرى: إنه التهيؤ أو الإعداد العملي للقاء الإمام المنتظر (عج).. الإعداد المقترن بالثقة والأمل الوطيدين بالمستقبل. وهذا ما يتضمنه الدعاء المأثور الذي تردده جموع المؤمنين:  
"..اللهم ولا تسلبنا اليقين لطول الأمد في غيبته، وانقطاع خبره عنا، ولا تُنسنا ذكره وانتظاره والإيمان به وقوة اليقين في ظهوره والدعاء له.. حتى لا يقطننا طول غيبته من قيامه.. فقلوبنا على الإيمان به حتى تسلك بنا على يديه منهاج الهدى والحجة العظمى والطريقة الوسطى.. وثبتنا على متابعتة.. " يا أرحم الراحمين.

## رئيس التحرير